ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Formation of Artistic Reality in Pre-Islamic Ragamuffins' Poets

Assist. Prof. Dr. Alhan Abdullah Muhammed

Dept. / College of Education for Female/ Mosul University/ Iraq

***Keywords*:**
Formations
Indeed
Constant
variable
Tramps

ARTICLE INFO

Article history:
Received 29 Srpt. 2019
Accepted 28 Oct 2019
Available online 8 Dec 2019
Email: adxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

. The research sheds the light on the formation of artistic reality in pre-Islamic poets for the Ragamuffins. Their poetry came as response to the real circumstances of public life ; they significantly show the conflict between justice and injustice in one side, and between freedom and bondage on the other side.

The formation of artistic reality of the Ragamuffins' poet has been studied in two levels [1]:

Firstly, the artistic reality seems to be passed over the borders of man's competence and retain it with limitations and requirements without the ability to produce any probable change or modification.

Secondly, the ego seems to be able to change the situation relatively, and re-arrange its borders and formulate significant aspects from its details, forms, and directories.

2019 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.26.2019.8

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit

تشكلات الواقع الفني في شعر الصعاليك

أ.م.د. ألحان عبدالله محمد / كلية التربية للبنات /جامعة الموصل

الخلاصة

يسلط البحث الضوء ويكشف عن دراسة تشكلات الواقع الفني في شعر الصعاليك ، على اعتبار أن قصائد الصعاليك جاءت مستجيبة للظروف الواقعية بطريقة يعبر من خلالها عن الحياة الواقعية المألوفة على مستوى المضامين الشعرية بوجوهها المختلفة من صراع بين العدل والظلم والحرية والعبودية.

وستتم دراسة تشكلات الواقع الفني في شعر الصعاليك عبر مستويين[٢]:

الأول: يبدو فيه الواقع متجاوزاً لحدود القدرة الإنسانية ومطبقا عليها بمحددات ومقتضيات لا إمكانية فيها لاحتمال أي تغيير أو تعديل.

الثاني: تبدو فيه الذات قادرة على الفعل والتحكم في تغيير الواقع نسبياً وإعادة ترتيب حدوده وصياغة جوانب معينة من تفصيلاته واشكاله ومؤدياته.

مفهوم الواقع:

إن الواقع هو التصور الصادق لـ "الوجود الإنساني بأطره المكانية والثقافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية كافة"[٣]، ويتحقق عبر مجموع الأشياء الواقعة موضوعا عينيا مباشرا لفعل الوجود. فقد وضع (ارسطو) الواقع في الأسفل وعده عالما محسوسا وملموسا. أما صاحب الجمهورية الافلاطونية فقد وضعه في الأعلى وعده عالما مجرداً غير محسوس وغير ملموس يتم ادراكه بالعقل والتذكر[٤].

إن تناول الواقع يعتمد التصوير التعبيري وطرح الموضوعات بصبغة ذاتية وداخلية. فالواقع ليس إلا معطى يترك لحس الشاعر وعاطفته الحرية في تصويره، كما يوفر للذات إمكانية تعميقه بشيء من الخيال استظهارا لفاعلياته وقدراته على العطاء، واستجلاء للمتخفي تحت سطحه وذلك بغية التعبير عن التجربة الحية التي تلامس حال الذات والجماعة وما يحملانه من قيم وأفكار وسمات ضمن مجالات عدة.

ان البحث في المتن الشعري للصعاليك يستلزم منا البحث عن الواقع ومدى ارتباط الانسان في محيطه البيئي وتفاعله وصراعه مع المحيط الخارجي ونقل الأمور الواقعة التي يعيشها الشاعر. "فكل شيء يقدم على أنه تعارض بين الفرد والمجتمع، فبين القيم الروحية والحياة الاجتماعية، يوجد الواقع إنه يوجد في الاشكال الأكثر اكتمالا عندما تبلغ الحياة الاجتماعية درجة قصوتها في الكثافة والقوة الخلاقة"[٥].

ومن هنا يستمد الشاعر موضوعات الواقع التي تضطرب بها سبل الحياة، ليلقي على الموقف كله كثيراً من المشاعر والاحاسيس. كما يدل تأثير الواقع على نفسية الشاعر ومدى ارتباطه بالتجربة الشعرية ونقصد بها "الاهتمامات التي عبر عنها الشعر العربي والانعكاسات التي نقلها الشاعر الجاهلي عن مجتمعه وبيئته ومحيطه، ومشاعره وانفعالاته الذاتية والجماعية"[٦]، فالتشكيل الواقعي لشعر الصعاليك بوصفه أنموذجاً للرسالة يتجلى بشكل واع وغير واع بصور معبرة عن الظلم والتهميش وندب الواقع المر والتمرد على القيم والأنظمة القبلية والهوية المجتمعية.

إشكالية تطبيق تشكلات الواقع الفني على شعر الصعاليك.

المستوى الأول: الواقع الفني الثابت

إن الشعر مرآة يعكس الواقع ويصوره على أنه وثيقة تاريخية تعبر بصورة مباشرة عن رصد القضايا الواقعية التي تطرح نفسها كمعطى واقعي لا سبيل للذات في مواجهة الاحداث أو الحيلولة دون وقوعها ، مما يجعل علاقة الشاعر بالواقع الثابت علاقة تعميق للداخل، فقد اكتسب شعر الصعاليك خصوصية إبداعية من حيث العلاقة بين واقعهم المضني البائس وبين الواقع الجديد المؤسس على وفق مبادئهم لكنها ليست علاقة مواجهة وتغيير لحياة افضل، وإنما نلحظ في الكثير من النماذج الشعرية يستحيل على الشاعر تغيير واقعه ولا سبيل للتصرف فيه فالشاعر يتقبل الوضع الراهن المفروض عليه ولا سبيل له على إزاحة أو استبدال ما قدر له.

إن الواقع الفني عند عروة بن الورد لا يقتصر على التفاني في ابداء شجاعته والمخاطرة بنفسه والاستحواذ على المال، بل يمتد إلى ميدان اخر لا قدرة له ولا استطاعة على تغيير ما وجب عليه، وهذا

ما تؤكده الابيات الاتية في الانتقاص من شخصه وما لحقه من ضيم وجور في مسالة الدفاع عن نسبه يقول(٧):

مـــا بـــي مـــن عـــار إخـــال علمتـــه ســـوى أن اخـــوالي إذا نســـبوا نهـــد

إذا مـــا اردت المجـــد قصـــر مجـــدهم فاعيـــا علـــى ان لا يقـــاربني المجـــد

فيـــا ليـــتهم لـــم يضـــربوا فـــي ضـــربة وإنـــي عبـــد فـــيهم، وأبـــي عبـــد

ثعالـــب فـــي الحـــرب العـــوان، فـــإن تـــنج وتنفـــرج الجلَـــى فـــإنهم الأســـد

النص يبدو مؤهلا للكشف عن الواقع المضني للشاعر الذي لا يمتلك سلطة لتغيير وتجاوز ما كتب له القدر، وتظهر تجربته الفنية ومعاناته وهو يستميت في الدفاع عن شرف انتمائه ، فيغدو نسبه من جهة امه مبعثاً للحزن والالم، كما أن التشبث بأصله الذي اتسم به واقع حاله اظهر عمق حدة الصراع الذي اثقل كاهل الشاعر وهو يصارع بمجده السامي ونفسه المتشوقة إلى تحقيق ما يصبو اليه ومحفزا لبلوغ السمو.

فالتفاني والفخر بالمجد قد تجسدا في اعلاء شأنه وهو لا ينكر أن حالة النسب والانتماء إلى شرف الأصل حقيقة واقعة، فهذا الشعور النفسي مبعثه الشرخ الحاصل بينه وبين قبيلته فقد القى بظلاله المأساوية على نفسه، وكان مدخلا لفتح افاق التجربة الإنسانية التي عبر عنها بصدق وواقعية، وكان هذا الشعور المضني مبعثا لالامه وهو لا يجد مسعا لتغييره أو تعديله كردة فعل لتخفيف ما ألم به.

وقد تضاعف احساسه بالظلم من واقعه الذي لا امل له في تغيير ما كتب له، فقد نشأ محتقراً في عيون قبيلته نتيجة لدناءة نسبه وحقارة وضعه، فنشأ منبوذا محتقراً في عيون أبناء قبلته. ولكن كل ذلك لا ينصف بمدى تمثيله للصفات النبيلة التي يتصف بها فنراه يشكو من انكار قومه له في حالتي الفقر والغنى والشباب والشيخوخة، ولعل محاولته في تأكيد رفض تقويم الفرد على أساس نسبه العائلي، بل وجوب الالتفات إلى ما يمتلك الفرد من صفات واخلاق تمثل سلوكه القائم على الكرم ورعاية الفقير وعدم الانتقاص من شخصه وما لحقه من ضيم وجور في مسالة الدفاع عن نسبه التي لم تغير من الواقع شيئاً يقول(٨):

هـــم عيرونـــي أن امـــي غريبـــة وهـــل فـــي كـــريم ماجـــد مـــا يعيـــر

وقـــد عيرونـــي المـــال حـــين جمعتـــه وقـــد عيرونـــي الفقـــر إذ أنـــا مقتـــر

وعيرنـــي قـــومي شـــبابي ولمتـــي متـــى مـــا يشـــأ رهـــط امـــرئ يتغيـــروا

ولا انتمـــي إلا لجـــار مجـــاور فمـــا آخـــر العـــيش الـــذي انتظـــر؟

إن الواقع في هذا النص فرض نفسه على الشاعر فهو يعاني قتامة الأسى الذي لفه ووضعه في بوتقة الألم وتجرع مرارة الذل والبؤس امام قومه الذين لم يتورعوا في تعييره بأمه والطعن به، فعلى الرغم من ذلك إلا ان مطمح سعادته يكمن في اظهار الجانب الإنساني والسلوك المثالي القائم على النجدة

ورعاية الضعفاء، محققا حلمه المشرق وطموحه الشخصي للانتصار على واقعه المؤلم.

ولعل هذا ما يؤكد صحة ما ذكره د. سعد شلبي عندما صرح بأن "معاناة عروة من أمه تأتيه من ناحيتين: حقارة نسبها في مجتمع يعمل لأصالة النسب، وشراستها في مجتمع يجعل في عظمة الخالق تقديراً، فاذا خرج الصعاليك على مجتمعهم فأولى بعروة أن يكون اشدهم خروجا عليه لهذه الأسباب"[٩].

فواقع الشاعر جاء تصويراً لعالم ينطلق من رغبات الانسان العميقة الاصيلة في غياب كل شكل من اشكال التسلط والظلم والاستغلال والتنازل والاذعان للامر الواقع[١٠] وبهذه الفلسفة العميقة بنى مجده منطلقاً من قدراته المتبلورة في انفاق المال من اجل تحقيق الخلود المعنوي.

وهكذا يكرر المعنى في ابيات أخرى ليفصح عن واقعه الذي لم يجد بدا من الاعتراف بوضيعة نسبه ودناءة اصالة حسبه من جهة امه على الرغم من محاولته الدفاع عنها قدر المستطاع يقول[١١]:

أعيرتمـــــــوني أن امـــــــي تريعـــــــة وهـــل ينجـــبن فـــي القـــوم غيـــر الترائـــع

ومـــا طالـــب الاوتـــار إلا ابـــن حـــرة طويـــل نجـــاد الســـيف عـــاري الاشـــاجع

وفي رؤية نابعة من صميم الواقع الثابت المعيش والتجربة الصادقة يكشف الشنفرى عن مصير ينتظره متمثلاً في الموت والفناء يقول[١٢]:

فـــإن لا تزرنـــي حتفتـــي أو تلاقينـــي أمـــش بـــدهر أو عـــداف فنـــورا

امشـــي بـــأطراف الحمـــاط وتـــارة يـــنفض رجلـــي بســـبطا فعصنصـــرا

ابغـــي بنـــي صـــعب بـــن مـــر بلادهـــم وســـوف ألاقـــيهم ان الله آخـــرا

ويومـــاً بـــذات الـــرس أو بطـــن منجـــل هنالـــك نبغـــي القاصـــي المتغـــورا

لقـــت لهـــا قـــد كـــان ذلـــك مـــرة ولســـت علـــى مـــا قـــد عهـــدت بقـــادر

ويقول في مقطوعة أخرى:

لا تقبرونـــــي ان قبـــــري محـــــرم علـــيكم ولكـــن أبشـــري أم عـــامر

إذا احتملـــوا رأســـي وفـــي الـــرأس أكثـــري وغـــودر عنـــد الملتقـــى ثـــم ســـائري

هنالـــك لا ارجـــو حيـــاة تســـرني ســـمير الليـــالي مبســـلاً بـــالجرائر

لقد حرص الشاعر في اطار رؤيته على تقديم واقع عاشه وعانى من خلاله كل اشكال التسلط والظلم والاستغلال، وتنامت لديه النزعة البناءة فشدت من ازراره وقوت من عزيمته في مواجهة بني سلامان وقتل مئة منهم، وفي خضم احساسه بالحياة ملؤها العنفوان لابد أن تندمج في صميم واقعه ووجوده صورة الواقع وحقيقة الموت الذي لا مفر منه ولا يمكن انكاره. فعندما يصبح الانسان عالقا في شباك الموت لا يمكنه الإفلات من القدر ولا الهرب منه، ويغدو الانسان في قبضة الموت يصارعه معلنا استسلامه لنهايته المحتومة[١٣].

فالتجربة التي نقلها الشاعر عن واقعه وهو يشيد بقواه وبارادته في سوح القتال تظهر واقعا حقيقيا

ليس في مقدوره تغييره فالموت سيلاقيه، ولا سبيل إلى تجاوز ما قدر عليه من قضاء مفروض.

وفي نص شعري اخر يطالعنا أبو الطمحان القيني في نقل واقع مرتسما بصور بيانية، يقول[١٤]:

وإنـــي مـــن القـــوم الـــذين هـــم هـــم إذا مـــات مـــنهم ســـيد قـــام صـــاحبه

نجـــوم ســـماء كلمـــا غـــاب كوكـــب بـــدا كوكـــب تـــأوي اليـــه كواكبـــه

ومـــا زال مـــنهم حيـــث كـــانوا مســـود تســـير المنايـــا حيـــث ســـارت كتائبـــه

أضـــاءت لهـــم احســـابهم ووجـــوههم دجـــى الليـــل حتـــى نظـــم الجـــزع ثاقبـــه

إن الموقف الذي تبناه الشاعر في رسم صورة الواقع هي صورة المثال السيد النجم الساطع المتلئلئ وسط الكواكب، إذا ادركه الموت استسلم له فلا سبيل إلى رده.

ومما يمنح الشاعر السعادة وتتوج لذاته الذكرى الطيبة بعد مماته هو استشعار الاخرين لافعاله الحسنة وسيرته الطيبة، "ليجعله في مصاف الخالدين وتحقيق رغبته في الخلود الابدي وقهر العبودية والتطلع إلى الحرية التي ينشدها ويسعى إليها بقدراته البطولية"[١٥].

فهو يتأمل الواقع برؤية منبعثة وبادراك حسي أنه مشدود إلى هذا الامر، ورمى عجزه عن التغيير لكل شيء حوله وقرر أن الكل إلى فناء فما يتذكر سيد وتصدح ذكراه متوهجة في الظلام إلا وطواه الموت في لجة العدم.

وتتضح في النص الصور البيانية لتوصيف واقع لا يملك الشاعر أي إمكانات لتجاوز ذلك الامر فهو متمسك بكل المآثر التي تمثل له السعادة والفخر بالنفس. وحينما ندرك أن الواقع خارج عن إرادة البشر سندرك أن الانسان مهما سمت فضائله ومهما علا شخصه فإن الموت سيدركه لا محالة وسيساق إلى مآله الأخير. وهكذا اصبح الواقع موتا اتجاه الذات الواعية بقدرها، وما افعالها المخلدة إلا ذكرى يراها الاخر في ذاتها.

ويطالعنا نص اخر للشاعرة جنوب بنت العجلان في رثاء اخيها عمرا ترتسم فيه معالم الواقع الثابت من خلال حدث الموت وأسباب وقوعه، يقول[١٦]:

ســـألت بعمـــرو اخـــي صـــحبة فـــأفظعني حـــين ردوا الســـؤالا

فقـــالوا أتـــيح لـــه نائمـــاً أعـــز الســـباع عليـــه أحـــالا

أتـــيح لـــه نمـــرا أجبـــل فنـــالا لعمـــرك منـــه ونـــالا

أتيحـــا لوقـــت حمـــام المنـــون فنـــالا لعمـــرك منـــه ونـــالا

فأقســـمت يـــا عمـــرو لـــو نبهـــاك إذا نبهـــا منـــك امـــرا عضـــالا

إذا نبهـــا ليـــث عريســـة مفيـــدا مفيتـــا نفوســـا ومـــالا

هزبـــرا فروســـا لأعدائـــه هصـــوراً إذا لقـــي القـــرن صـــالاً

همـــا مـــع تصـــرف ريـــب المنـــون مـــن الأرض ركنـــاً تثبيتـــاً أمـــالا

همـــا يـــوم حمـــا لـــه يومـــه وفـــال اخـــو فهـــم بطـــلاً وفـــال

وقـــالوا قتلنـــاه فـــي غـــارة بأيـــة مـــا أن ورثنـــا النبـــالا

فهـــلا إذا قبـــل ريـــب المنـــون فقـــد كـــان رجـــلا وكنـــتم رجـــالا

تتبلور تجربة الشاعرة المفعمة بالحزن والمؤطرة بالألم لفقد اخيها عمرو من الواقع الذي فرض عليها والتسليم لأمره. فحينما اطلقت امكانياتها الخطابية فقدت الحياة قيمتها وبدت النفس في غاية الضعف والانكسار عاجزة كل العجز ومحبطة كل الإحباط فقد الغت القيم البطولية عن اخيها وأصبحت الغفلة سبباً للموت.

وهذا الواقع بعث الاسى في قلبها وانصهر في أعماق وجدانها محاولة تطويع مفرداته بلغة خففت من وطأة الألم عن نفسها، وقضت مضاجع أصحابه حينما بدأت تفيق للواقع المحزن. فعمرو قد مات ولا عودة له. فشعورها المؤلم هو الواقع الحقيقي الذي تجسد من خلاله الرؤية الواضحة المحددة لمعنى الحياة التي "تنجذب إلى قطبين يستقطبان الواقع المدرك والحدس المنفعل بهذا الواقع، وهما تبعا لذلك يستقطبان الصياغة الفنية، بتقاطع هذين القطبين في نقاط مركزية تتعمق الرؤية فتبدو القصيدة في جدلية مع الزمن حيث الوجود الذاهب والفقد الواقع، ومن ثم تتشكل بنية مزدوجة الدلالة منها، ذلك أن الموت ينظر إليه من خلال كائن حي يعاينه ويعايشه، كما ان الحياة منظورا إليها من خلال كونها مرحلة موقوتة أو من خلال كونها مقدمة قصيرة لهذا الموت"(١٧).

وهكذا تبلور موقف الشاعرة إزاء حتمية الموت كقوة فاعلة وتسلطه القدري على الانسان منذ الازل. فقد استطاعت التعبير عن واقعها الثابت– الذي لا قدرة لها على تجاوزه أو تغييره– بقهر معادلة الموت والتخفيف من وطأة المصير المحتوم باسترضاء ذاتها والتسليم للواقع الحقيقي والاذعان للامر المفروض والايمان بالقدر واحواله.

وفي نص لتابط شراً يكمن الواقع الحقيقي الثابت من خلال روابط الصلة والقرابى بينه وبين عاذلته، فمن خلال حديثه عن المخاطرة بالنفس وكرمه يظهر حالته النفسية وما بداخله من عتاب ولوم ليثبت امام عاذلته حقيقة مهمة وواقع يبرز تحدي الانسان بكل ما يملك من قوى من اجل رسم صورة إيجابية لشخصه، كما يمنح لنفسه شعوراً يستلذ بذكراه الاخرون إذا وافته المنية، فهو شعور يظهر رغبته في انفاق المال، يقول (١٨):

يـــا مـــن لعذالـــة خذالـــة أشـــبٍ حـــرق بـــاللوم جلـــدي أي تحـــراق

يقـــول أهلكـــت مـــالا لـــو قنعـــت بـــه مـــن ثـــوب صـــدق، ومـــن بـــزّ وأعـــلاق

عـــاذلتي ان بعـــض اللـــوم معنفـــة وهـــل متـــاع وإن ابقيتـــه بـــاق؟!

يعمد الشاعر في تشكيل الواقع فنياً وفي أقسى حالات عناده إلى المكابرة والاستعلاء النفسي،

متجاهلا رغبة العاذلة وطلبها بأن يتراجع عن بذل المال واغداقه على الفقراء من الفقر والعدم. وهو إذ يقدم تجربته الشخصية يقدمها بشكل موضوعي لا يخلو من إشارة واضحة إلى الاعتراف بحقيقة الواقع المعيش الذي يحيا فيه، وهو يفاخر بكرمه ويباهي بما سيخلد من افعاله. ففي ظل التوتر الحاد الذي يعتمل في نفسه من لوم العاذلة، نراه يسعى إلى ارتواء لذة حسية تتسامى به عن العتاب واللوم والندم الذي سببته العاذلة في محاورتها له، وهذا ما يظهر واضحاً في تجربته الحقيقية وواقعه الثابت، فقد سمت به نفسه إلى اظهار حقيقة الواقع والاحتفاظ بالقيم الخلقية التي يسعى إليها دائما، فلا يخشى الندم ولا الإصرار على اللوم فقد حقق بانتصاره عليها غبطة بلورتها حالة السمو والفخر التي ستحقق له وتخلد فيها ذكراه بعد أن توافيه المنية ويدركه الموت. فالتسليم بهذا البعد الواقعي للموت هو في حد ذاته استحضار للسرور والغبطة و"محاولة لتحقيق توازن داخل الذات عن طريق السماح للذاكرة باستحضار لحظات انقضت في الزمن الماضي"[١٩].

وهكذا تبدو تفاصيل الحدث متلائمة مع تجربته الشخصية المستمدة من واقع حياته التي لا مفر منها ولا قرار له في تغيير مسارها، لينتهي إلى حقيقة يعلن من خلالها عن صدق مسلكه وهو يسعى إلى تخليد ذكراه وستذكر محاسن اخلاقه في الغاية التي سعى من اجلها.

المستوى الثاني: الواقع الفني المتغير

ان شعر الصعاليك جاء تعبيرا عن ازمة حقيقية لواقعهم، كما جاء تعبيرا عن توق لا موارية فيه لتحرير الفرد من اسار الظلم والتعسف المفروضة عليهم والمحددة مسبقا ضمن الأطر والقوانين الاجتماعية فما كان منهم إلا تغيير واقعهم واستبدال وضعهم بصورة افضل والانطلاق نحو الفضاء الرحب.

فشعرهم يؤكد ليس فقط حقيقة صراعهم الشاق والمضني والقاسي، الذي لا تقوى على دوام احتماله إلا نفوس اوتيت مقومات خاص من القوة والجلد وثبات العزيمة[٢٠] . بل يؤكد ازمتهم ومعاناتهم والسعي بتجاوزها والتخلص من آسارها والتعافي من فروضها ومستلزماتها ليستظل بواقع جديد غير معهود، ولا يمكن بلوغه إلا بالتحرر منه والتمرد على شرائعه القانونية ، ليبلغ بذلك خطاب الواقع متلونا باساليب خطابية فنية تحاكي همومه وانكساراته وتعيد صياغة الواقع وتشكيله على نحو مغاير ومميز، وعبر خطاب فني يتحكم في سياقه البنية التركيبية مع سحرية الابداع.

ففي مشهد قصصي زاخر بالتمرد والثورة ينقل لنا أبو كبير الهذلي واقعاً حقيقياً يسعى إلى تغييره وفنياً متسماً بالخلق والتخييل، يقول[٢١]:

وعلـــــوت مرتبئـــــاً علـــــى موهوبـــــة خصـــــماء لـــــيس رقيبهـــــا فـــــي مثمـــــل

عيطـــــاء معنقـــــة يكـــــون انيســـــها ورق الحمـــــام جميمهـــــا لـــــم يؤكـــــل

نجد في النص أعلاه كيف نقل لنا الشاعر واقعاً حقيقياً واستطاع بتجربته وصراعه المرير مع ذاته المتحدية كل الصعاب أن يقتحم المجهول المغيب، إذ لون المشهد بالتسامي والعلو حينما رفضت شخصيته الانصياع للقدر التراجيدي المرسوم ضمن أنظمة وقوانين القبيلة، فقراره بالتغيير الواقعي فرض

عليه "أن يسلك اسلوباً معيناً في حياته الخاصة كرد فعل لما لحقه من ضيم أو رغبة في تغيير وضع ما، أو لبلوغ غاياته المادية والمعنوية"(٢٢).

فالتحدي ما زال يراوده في تلك الظروف الصعبة مطالبا بشكل من الاشكال تغيير الواقع الحقيقي، والا فانه سيتحمل عواقب ذلك القدر المرسوم له.

وهكذا نلحظ سعة خيال الشاعر في امتداده الفضائي وتحليقه في العوالم البعيدة عن الواقع الحسي والمرئي، فالابداع الشعري تعقبه وهو يجتاح بإرادة وعزيمة قمم الجبال التي تجتمع بها الاواري والوعول ليعثر على نبات ليأكل ما طال منه.

وفي نص اخر يقول حاجز الازدي واصفاً موقفاً لهروبه متمثلاً بواقع يسعى بكل قواه الجسدية ان يجتاز الصعاب ويحقق ما يبتغيه، يقول(٢٣):

وكأنمـــا ابتعـــث الفـــوارس أرنبـــا أو ظبـــي رابيـــةٍ خفاقـــاً أشـــعبا

وكأنمـــا طـــردوا بجنبـــي عاقـــل صـــدعاً مـــن الاروي أحـــسّ مكلبـــاً

أعجـــزت مـــنهم والاكـــف تتـــالني ومضـــت حياضـــهم وآبـــوا خيبـــا

تمثلت تجربة الشاعر بقدرته على تغيير واقع اضطره حين تعرض لموقف الملاحقة، إلا أن شجاعته وقدراته الجسدية مكنته من الفرار، فالمخاطرة بالنفس كانت مبعثاً للقلق والاضطراب وشكلت هاجساً تمثل بالإحباط لذا قرر الفلات والنجاة بالنفس، فمواجهة الاخر وتحديه أعاد التوازن لشخصه فحاول بقوته تغيير ما يمكن تغييره من الواقع البائس الذي اطبق عليه، فكانت مواجهته للواقع سبيلا وتغييره املاً للخلاص من القلق والاضطراب النفسي الذي يعيشه، ومن الألم الذي يلف نفسيته ويجعلها تعيش في ظلام دامس، لكنه استطاع أن يرفض الخضوع والاستسلام، فقد حاول استثمار القوة للوصول إلى الهدف المنشود، فالقوة هي الظفر والانتصار بإرادة الذات على تجاوز الضعف والصعاب والملمات فكل ما يعمل بروح الضعف والإنكسار لابد ان يكون مصيره الفشل. لكن الذات التي اتسم بها الشاعر هي ذات قوية جريئة تحاول الانفلات من عالم الواقع المر والمؤلم الذي تحيا فيه من جهة والذي يتعارض مع قيمها وسلوكها من جهة أخرى. ولذا فإن المرء في حقيقة الامر قد يصاب بخيبة امل كبرى حينما يجد الشقة بعيدة بين الواقع من جهة والمثل الأعلى من جهة أخرى(٢٤).

ويوظف الشنفرى واقعا فنيا اثبت من خلاله صفة الشجاعة على أصحابه لكونهم تفانوا بالبطولة الخارقة، يقول(٢٥):

ســـــراحين فتيـــــان كـــــأن وجـــــوههم مصـــابيح أو لـــون مـــن المـــاء مـــذهب

تمـــر بزهـــو المـــاء صـــفحا وقـــد طـــوت شـــــمائلنا والـــــزاد ظـــــن مغيـــــب

ثلاثـــاً علـــى الاقـــدام حتـــى ســـما بنـــا علـــى العـــوص شعشـــاع مـــن القـــوم محـــرب

فثـــاروا الينـــا فـــي الســـواد فهجهجـــوا وصـــــوت فينـــــا بالصـــــباح المثـــــوب

نقل لنا الشاعر صورة واقعية اضفى عليها لمسة بيانية بسحره الخيالي، فتجلى موقف الشاعر مع أصحابه وهم يتفانون في الوصول إلى غايتهم ويبذلون قصارى جهدهم لاثبات مكانتهم وإعادة الكرامة لشخصهم التي سلبت نتيجة القوانين التعسفية التي فرضت عليهم. فتشبيههم بالذئاب وقدرتهم على المراوغة والخداع ما هي في حقيقته إلا بيان لتأكيد أن الشاعر وصحبه ليسوا كفتيان قبيلتهم بل أنهم مصابيح مشرقة أضاءت طريقاً وانارت حياة كانت اشبه بالظلام والبؤس.

كما اثارت في نفسه الحس الشعوري بالمواجهة وعمقت لديه القدرة على تجاوز النطاق القبلي كما أظهرت قدراته بعدم التخلي عن المسؤولية الملقاة على عاتقه والالتزام بالواجب المنوط به.

وهكذا جاءت قصيدته منسجمة مع طموحه الفردي بقدراته الكفيلة بتغيير واقعه المر. فالشاعر "لا ينكر أن الواقع يكون مريراً في اغلب الأحيان، وتحويل مرارته إلى حلاوة ونشوة ناعسة بوساطة شعر يعيد صياغة ذلك الواقع بصورة تختلف عما هو عليه[٢٦].

فالواقع جاء مشرقاً بالسمو والعلو والتميز، فالتغيير بالواقع المضني كشف عنه الشاعر وازاله رغبة لتحقيق ما تصبو اليه حاجته. وفي موقف آخر نلحظ تشكل الواقع فنياً في موقف واصفاً فيه واقعاً حقيقياً تمكن بإرادته وتحديه أن يغير من الواقع من خلال اجتيازه للمصاعب بتفوق عال.

يقول تأبط شراً[٢٧]:

وقلـــــة كســـــنان الـــــرمح، بـــــارزةٍ ضـــخيانةٍ فـــي شـــهور الصـــيف مخـــراق

بـــادرت قنتهـــا صـــحبي، ومـــا كســـلوا حتـــى نميـــت إليهـــا بعـــد اشـــراق

نقل لنا الشاعر تجربته وصراعه المرير مع واقعه الموضوعي وطموحه العالي في ارتقاء الجبل واتخاذه حصناً منيعا وملجأ اميناً، ويبدو جلياً تميز الذات بتعاليها المجنح في التسلق نحو المعالي السامية، من خلال اتخاذها الجبل سلاحاً يبعث الامل والاطمئنان في نفسها.

كما تتجلى امامنا الصورة الفنية البيانية في رسم الابعاد الانفعالية والافتراضية كما ظهر جلياً في تحول قمة الجبل إلى سنان الرمح، فمخاطرة الشاعر بنفسه وتجواله في عالمه الخاص رافضاً الانصياع لأمر القبيلة هي بمثابة واقع عاشه الشاعر للارتقاء بأحلامه المتتالية لتحقيق ما يصبو اليه، فالمخاطرة أساس الحياة والمجد وتحقيق العلا، وعليه لا تنال الحياة إلا بالتعب والمغامرة وركوب الاخطار، واقتحام المصاعب والاكثار من الجد والمثابرة.

ومن ثم تتراءى صورة الواقع الحقيقي في اطار السلوك القيمي والمثل العليا التي حددتها معطيات الواقع الاجتماعي التي تحكمت في ضوئها سلوك الفرد وتصرفه لاثبات ذاته ولسد النقص الحاصل عنده بعدما اشعر بالذل والضعف والهوان في مجتمع لا يحسب لمثله أية حساب.

وقد تأخذ القوة مداها عند الشاعر في نقل الواقع المضني من خلال الصورة التي رسمها أبو كبير الهذلي لنفسه ولاصحابه وهم يقتحمون المنايا ولا يهابون الموت، يقول [٢٨]:

فلقد جمعت من الصحاب سرية ... خدبا لداتٍ غير وحش سخل

سجراء نفسي غير جمع اشابة ... حشداً ولا هلك المفارش عزل

لا يجلفون عن المضاف ولو رأوا ... إلى الوعاوع كالغطاط المقبل

يتعطفون على البطيء تعطف الـ ... ـعوذ المطافل في مناخ المعقل

ولو سريت على الظلام بمغشم ... جلد من الفتيان غير مهبل

يتخلل النص جملاً تكمن قيمتها الوجودية والذهنية في نقل واقع يهدد حياة الشاعر واصحابه وما يلاقونه من مخاطر وما يثير في نفوسهم من ضيم ويظهر حجم الخطر فينقل تفاصيل معركة اللقاء مع اعدائهم، وفي البحث عن حقهم المسلوب والحفاظ على حياتهم وعدم النيل منها، ولكي يقهروا الموت لابد من تغيير واقعهم المضني متمثلاً بنوازع المغامرة واستعراض القوة، فلو نظرنا إلى القوة وقيمتها عند فلاسفة الاخلاق نجدها "فضيلة أو قيمة، فما ذلك إلا لأن القوة تأكيد مليء تام للوجود الشخصي، بحيث يتحقق الاشباع الحقيقي لكل من قوى الجسم وقوى النفس على حد سواء"[٢٩].

فهذا واقع الشاعر لا تعرف حياته الهدوء ولا الاستكانة لأنها في نظره تعترض طريقه فبساطة العيش ولينها هي موت بطيء. ومن هنا يفجر الواقع في نفوس الصعاليك واستعراض القوة في مهارة فائقة وشجاعة منقطعة النظير والاستعداد لمنازلة اعدائهم متحلين بالقيم المثلى التي تحيط عطفا وإنسانية بالجريح والمقتول.

إن شعر الصعاليك اعطى لحس الشاعر وعاطفته الحرية في التصوير الصادق للواقع الإنساني، لذا كان ميدان شعر الصعاليك هو تصوير الطبقات الأدنى من المجتمع تصويراً ممزوجاً بصدى ذلك الواقع المعبر عن شقائهم، وقديما لخص ارسطو مقولته بأن " اقدرالناس تعبيراً عن الشقاء من كل الشقاء في نفسه"[٣٠].

ويطالعنا في نص السليك بن السلكة واقعاً مصوراً من خلال ثورته على عاذلته، يقول[٣١]:

إلا عتبت عليّ فصارمتني ... واعجبها ذوو اللمم الطوال

فإني يابنة الاقوام آربي ... على فعل الوضي من الرجال

فلا تصلي بصعلوك نؤوم ... إذا امسى يعد من العيال

إذا اضحى تفقد منكبيه ... وابصر لحمه حذر الهزال

ولكن كل صعلوك ضروب ... بنصل السيف هامات الرجال

اشاب الرأس اني كل يوم ... أرى لي خالة وسط الرجال

يشق علي ان يلقين ضيماً ... ويعجز عن تخلصهن حالي

يظهر الشاعر واقعه الذي يطغى على حياته لاعلان ثورته على عاذلته من خلال دعوتها

الصريحة إلى القعود عن الغزو خوفا عليه من أن يلقى حتفه، وهذا الواقع يبعث الألم والاسى في قلب الشاعر الذي لا يستسيغ القعود عن الغزو ويعده مذلة، كما أن مجادلته في السياق اللغوي اخذ طابعاً سردياً وشكلاً فنياً فهو المحرك الأساسي ليس فقط للتعبير عن الواقع أو رصده، وإنما كان التخييل والتصوير فيه امنية تزيح واقع الفقر وتغييره واستبداله بالحلم الجميل ليتبلور فيه سلوكه الاجتماعي نحو تلبية طموحة والارتقاء به إلى مستوى افضل، ومبدأ تغيير الواقع اتخذ منهجاً قائماً على المخاطرة بالنفس لكسب المال الذي يحقق له السعادة وينأى به عن الشقاء.

الخاتمة

- يكمن سر ابداع الشاعر بأنه يتدرج بمناقشة الواقع المعاش وهو في حالة استسلام للامر، وسر ابداع هذا الشاعر أنه يعكس نفسه الهادئة وصفاء تأملاته حينما نشعر أن قصائده تتمتع بالانسياب ويوظف لغة حاملة للتأويل الدلالي من خلال تمثيل جسامة الواقع فلا أمل في النجاة مما قدر له واقعه، ليثبت مآل الانسان وفق الحدث الكوني وتداعياته الحتمية التي عبر عنها بصدق وواقعية .
- إن الذات التي اتسم بها الشاعر وهي ذات قوية جريئة حاولت الانفلات من عالم الواقع المؤلم الذي يتعارض مع قيمها وسلوكها لتنطلق في رحاب الحلم الإنساني في التعبير عن القضايا سواء من خلال الطبقة أو اللون إذ ترى فيها أنموذجاً للتحكم الطبقي وسطوة التقاليد، لكن ايمانهم بالواقع المعيشي والتعبير عنه بالقوة اعطى الوجود قيمة وللحياة معنى.

الهوامش

([1]) Cf: The Real Mythology, Saeed Araq, www.m.ahewar.org

(٢) ينظر: ميثولوجيا الواقع، سعيد اراق www.m.ahewar.org.

(٣) الرواية العربية بين الواقع والتخييل، رفيف رضا صيداوي: ٧٢.

(٤) ينظر: فن الابداع الادبي ما بين الواقع والخيال، سماء حمزة www.magalaty.com.

(٥) البنيوية التكوينية والنقد الادبي، لوسيان غولدمان: ١٩.

(٦) الواقع الشعري والموقف النقدي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث الهجري، عماد ويس: ٦٠.

(٧) شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، لأبي يوسف بن اسحاق السكيت: ١٥٧.

(٨) شرح ديوان عروة بن الورد والعبسي: ١٣١-١٣٢.

(٩) ينظر:الاصول الفنية للشعر الجاهلي: ٣٢٠.

(١٠) حركية الابداع، د.خالدة سعيد: ١٢٦.

(١١) شرح ديوان عروة بن الورد العبسي: ١٥٨.

(١٢) ديوان الشنفرى: ٤٦.

(١٣) ديوان الشنفرى : ٤٨.
(١٤) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي ، د. محمد نبيل طريفي ، ج١، ٣٠٩-٣١٠.
(١٥) ثنائية اللذة والالم في الشعر العربي قبل الاسلام، د.ليلى نعيم الخفاجي: ١٦٧.
(١٦) كتاب شرح اشعار الهذليين، ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري: ج٢، ٥٨٣-٥٨٤.
(١٧) شعر الرثاء في العصر الجاهلي- دراسة فنية، د. مصطفى عبد الشافي الشوري:١٣٩.
(١٨) ديوان تأبط شراً واخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الغفار شاكر: ١٤١.
(١٩) الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، د. كمال ابو ديب: ١٦٦.
(٢٠) ينظر: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، د. عبدالحليم حنفي: ١٨٣.
(٢١) كتاب شرح اشعار الهذليين: ج٢,١٠٧٧ .
(٢٢) جدلية القيم في الشعر الجاهلي- دراسة نقدية معاصرة، د. بو جمعة بوبعيو: ٦٩.
(٢٣) حماسة البحتري : لأبي عبادة البحتري ، نسخه، لويس شيخو اليسوعي :٥٠ .
(٢٤) ينظر: المشكلة الخلقية مشكلات فلسفية، د. زكريا ابراهيم: ٢١٤.
(٢٥) ديوان الشنفرى: ٢٨.
(٢٦) الشعر بين الواقع والابداع، صبيح ناجي القصاب: ٧٥.
(٢٧) ديوان تأبط شراً واخباره: ١٣٨-١٣٩.
(٢٨) كتاب شرح اشعار الهذليين: ج٢: ١٠٧١-١٠٧٢.
(٢٩) المشكلة الخلفية: ٢٥٤.
(٣٠) فن الشعر، ارسطو طاليس: ٨٤.
(٣١) الديوان: ٨٦.

Almasadir walmraje:

1. .al'usul alfaniyat lilshaer aljahili, d. saed 'iismaeil shalabi , maktabatan ghurayb , t 2 , 1982.
2. albiniwiat altakwiniat walnaqd aladby , lusayan ghuldman , ywn baskawi , jak linhart , jak dubuu , jak duminu , r. hyndlsn, tarjamat muhamad sabila, muasasat al'abhath alearabiati, bayrut, lubnan, t 2, 1986 m.
3. thunayiyat alludhat fi alshier alearabii qabl al'islam , d.lilaa naeim alkhfajy , dar alshuwuwn althaqafiat aleamat , aleraq- baghdad , t 1 , 2013 min.
4. jadliat alqiam fi alshier aljahli- dirasatan naqdiat mueasiratan , dirasatan bu jumeat bwbeyw , manshurat aitihad alkuttab alearab , dimashq , 2001 m.
5. harakiat alaibdae dirasat fi al'adab alearabii alhadithi, d. khalidat saeid, dar alfikr liltabaeat walnashr waltawziei, bayrut, lubnan, t 3, 1986 m.

6. hamasat albuhtri , li'abi eibadat alwalid bin eubayd albuhtri , alnuskhat , luis shykhu alyswei , tabeat liundin , 1910 min.
7. diwan alsalik fi alsalakat , sharahah saed aldnnawi , dar alkitab alearabiu , bayrut، t 1 , 1994 m.
8. diwan alshanfra , jameah wahaqaquh washarhih , d.amil badie yaequb , dar alkitab alearabii , bayrut , t 2 , 1996 min.
9. diwan allusus fi aleisrin aljahilii wal'iislamii , saneah alduktur muhamad nabil tarifi , dar alkutub aleilmiat , birut-lubnan , t 1 , 2004 min.
10. diwan tabat sharanaan waikhbarah , jame washarah , eali dhu alghafaar shakir , dar algharb al'iislamiu , t 1 , 1984 min.
11. alriwayat alearabiat bayn alwaqie walmutakhial , rafif ridaan saydawi , dar alfarabi , bayrut , lubnan , t 1 , 2008 m.
12. alruwaa almuqanaeat nahw manhaj biniwiin fi dirasat alshier aljahilii , albinyat walrawya , kamal 'abu dib , alhayyat almisriat aleamat lilkitab
13. sharah diwan eurwatan bin alwird aleabsii , li'abii yusif yaequb bin 'iishaq alsskit , mutbaeat , jawal karbunil , aljazayir , 1926 min.
14. shaear alraththa' fi aleasr aljahili- dirasatan faniyat -, d mustafaa eabdalshafi alshuwraa , alsharikat almisriat alealamiat lilnashr , luanajaman , t 1 , 1995.
15. shaear alsaealik manhijuh wakhasayisuh , d.ebdalhlym hanafi , alhayyat almisriat aleamat lilkitab , 1987 m.
16. alshier bayn alwaqie walaibdae , sabih naji alqassab , silsilat dirasat (166) , dar alhuriyat liltabaeat , baghdad , 1979 min.
17. kitab sharah 'iishear alhadhaliayn , 'abi saeid bin alhusayn alsukari , thqyq: eabdalsitar 'ahmad firaj , rajieah mahmud muhamad shakir , maktabat dar aleurubat , alqahrt t 1.
18. almushkilat alkhalqiat mushkilat falisfiat , d.zakria 'iibrahim , dar misr liltabaeat , alqahrt , 1969
19. alwaqie alshaeriu walmawqif alnaqdiu min aljahiliat 'iilaa nihayat alqarn alththalith alhajarii ,eimad ways ealam alkutub alhadithat lilnashr waltawzie , qsntynt , aljazayir , t 1 , 2014 m.